The Starling Letters, a semiotic study

Dr. Wafa'a Jouma'a*

(Received 8 / 5 / 2024. Accepted 9 / 7 / 2024)

□ ABSTRACT □

Starlings constitute a beautiful, comic type of literature, but it is a purposeful type that was known in Andalusian prose in the sixth century AH. The basis of this art is a group of messages revolving around the starling and the various suggestions that its characteristics evoke.It was a starting point for building creative texts carrying fertile connotations. These connotations expanded in their flexible language to modern semiotic readings that were able to identify the signs, icons, and various relationships they contained, which had their own signs.

Studying starlings from a semiotic perspective reveals the hidden content behind the sarcastic tone and humorous expressions. The implication behind this sarcastic and humorous narrative style crystallizes; Because starlings reveal mental activity that was born out of a cultural context that has a specific point of view, and is based on implicit patterns that semiotic tools explore accurately and aesthetically.

The field of starlings is wide; As it was a field of semiotic space that was linked to the contemporary structural linguistic model, according to a Peircean vision, we were faced with the creativity of language and its superiority in openness to everything new.

Key words: Al Zarzouriat, semiotics, Andalusian, icons, Pierce.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Assistant Professor , faculty of art , Arabic department tishreen university , Lattakia , Syria.**

الرّسائل الزّرزوريّة دراسة سيميائيّة

د. وفاء جمعة*

(تاريخ الإيداع 8 / 5 / 2024. قبل للنشر في 9 / 7 / 2024)

□ ملخّص □

تشكّل الزّرزوريّات لوناً فكاهيّاً جميلاً من ألوان الأدب، لكنّه لون هادف عُرف في النّثر الأندلسيّ في القرن السّادس الهجريّ، وقوام هذا الفنّ مجموعة من الرّسائل تدور حول الزّرزير وما تثيره صفاته من إيحاءات مختلفة، فكان منطلقاً لبناء نصوص إبداعيّة حمّالة دلالات خصبة، وهذه الدّلالات اتّسعت بلغتها المرنة لقراءات سيميائيّة حديثة استطاعت الوقوف على ما تضمّنته من إشارات وأيقونات، وعلاقات مختلفة، لها علاماتها الخاصّة.

إنّ دراسة الزّرزوريّات من منطلق سيميائيّ تكشف المضمر وراء اللهجة السّاخرة، والعبارات الفكاهيّة، فيتبلور المضمر وراء هذا الأسلوب السّرديّ السّاخر الفكاهيّ؛ لأنّ الزّرزوريّات تكشف عن نشاط ذهنيّ تولّد عن أمد ثقافيّ له وجهة نظر معيّنة، ويُحْمَل على أنساق مضمرة تسبرها أدوات السّيميائيّة بدقّة وجماليّة.

وحقل الزّرزوريّات واسع؛ إذ كان مجالاً لفضاء السّيميائيّة الذي ارتبط بالنّموذج اللسانيّ البنيويّ المعاصر، وفقاً لرؤية بيرسيّة، فكنّا أمام إبداع اللغة وتفوّقها في الانفتاح على كلّ جديد.

الكلمات المفتاحيّة: الزّرزوريّات، السّيميائيّة، الأندلسيّ، أيقونات، بيرس.

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

*أستاذ مساعد ، قسم اللّغة العربيّة، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة تشرين، اللاذقيّة ، سورية.

مقدّمة:

تكثر فنون النّثر الأندلسيّ، ويتّخذ كلّ منها سياقاً خاصّاً تُبنى عليه قراءات خاصّة، والزّرزوريّات أحد هذه الفنون؛ إذ تمثّل نصّاً أدبيّاً هو نتاج فكريّ، وليس فقط نتاجاً أدبيّاً، والدّليل البناء الفكاهيّ الذي نراه فيها.

وتشكّل الزّرزوريّات نافذة خصبة من نوافذ الولوج في أفق الدّراسات النّقديّة الحديثة، ولاسيّما حين نتعامل مع السّيمائيّة، كون هذه السّيمائيّة فماً ناطقاً يبوح بما تكتنزه النّصوص، ولاسيّما في زمن كان النّاس أحوج ما يكونون فيه للتّخلّص من أدب البلاطات الذي ساد في العصرين السّابقين العبّاسي والأمويّ، فكانت الزّرزوريّات متنفّساً؛ لذا ارتأينا أن يكون عنواننا: الرّسائل الزّرزوريّة رؤية سيميائيّة وفقاً لنظريّة بيرس، وهذه النّظريّة أداة نقديّة رحبة لاستيعاب المحتويات السّيميائيّة في النّصّ الإبداعيّ.

أهمية البحث وأهدافه

أهمّيّة البحث:

تبدو أهمّيّة البحث جليّة عبر تلاقح الأدب القديم مع المناهج الحديثة، وهذا التّلاقح يثبت مرونة النّصّ العربيّ في العصور السّابقة، وقدرته على الاستجابة لكافّة الأشكال القرائيّة.

أهداف البحث:

تكمن أهداف البحث في الكشف عن الدّلالات السّيميائيّة في الرّسائل الزّرزوريّة، وتحليلها ودراسة المقاربات السّردية عن طريق المنهج السّيميائي والمستويات التي وضعها بيرس.

الدّراسات السّابقة:

تمّت الإفادة من عدد من الدّراسات السّابقة، ومنها:

- السّيميائيّة أصولها ومناهجها ومصطلحاتها، سعديّة موسى عمر البشير.
- المعارضات الأدبيّة في النّثر الأندلسيّ، أيمن محمّد ميدان.
- فنّ الرّسالة عند أبي عبد الله ابن أبي الخصال – دراسة فنّيّة أسلوبيّة، محمّد لخضر بن ناجي.

منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج الوصفيّ الذي أتاح عرض الظّاهرة ووصفها والتّعليق عليها وفق القراءة السّيميائيّة.

وعليه، فقد استقام البحث في مقدّمة، ومن ثمّ تعريف بالسّيميائيّة لغة واصطلاحاً، فلمحة عن سيميائيّة بيرس، وتعريف بالزّرزوريّات، ومن ثمّ دراسة الرّسائل الزّرزوريّة دراسة سيميائيّة، وانتهى البحث بخاتمة وثبت للمصادر والمراجع.

مفهوم السّيميائيّة:

معنى السّيمائيّة لغة:

السّيماء والسّيمياء بياء زائدة: لفظان مترادفان لمعنى واحد، وقد ورد ذلك في كتاب الله مقصوراً غير ممدود؛ أي بلا همز (سيما)، قال تعالى: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿**تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ**﴾[2].

والسّيمياء في معاجم اللّغة: العلامة، أو الرّمز الدّالّ على معنى مقصود لربط تواصل ما؛ ف "السّيما هي العلامة التي يُعرف بها الشّيء، وأصله الارتفاع؛ لأنّه علامة رفعت للظّهور، ومنه السّوم في البيع، وهو الزّيادة في مقدار الثّمن للارتفاع فيه عن الحدود، ومنه سوم الخسف للرّفع فيه بتحميل ما يشقّ، ومنه سوم الماشية إرسالها في المرعى"[3].

والسّومة والسّيمة والسّيماء والسّيمياء: العلامة، والخيل المسوّمة: هي التي عليها السّمة، وقد يجيء السّيما والسّيميا ممدودين، وأنشد لأسيد: –

غلامٌ رماه الله بالحسن يافعاً له سيمياءُ لا تشقّ على البصر[4]

معنى السّيميائيّة اصطلاحاً:

نذكر ما قاله (دي سوسير): إنّها العلم الذي يدرس حياة العلامات من صدر الحياة الاجتماعيّة، ونستطيع أن نتصوّر علماً يدرس حياة الرّموز، والدّلالات المتداولة في الوسط المجتمعيّ، وهذا العلم يشكّل جزءاً من علم النّفس العامّ، ونطلق عليه مصطلح علم الدّلالة (السّيميولوجيا)، وهو علم يفيدنا موضوعه الجهة التي تقتنص بها الدّلالات والمعاني[5]، وما دام هذا العلم لم يوجد بعد فلا نستطيع أن نتنبّأ بمصيره، غير أنّنا نصرّح بأنّ له الحقّ في الوجود. وقد تحدّد موضوعه بصورة قبليّة، وليس علم اللسان إلاّ جزءاً من هذا العلم العامّ، وسيبيّن لنا هذا العلم ما هو مضمون الإشارات، وأيّ قوانين تتحكّم فيها.

ونخلص إلى القول: "إنّ السّيميولوجيا تدرس العلامات وأنساقها، سواء كانت هذه العلامات لسانيّة أم غير لسانيّة"[6].

وإنّ أوسع فضاء للسّيميائيّة هو حقل اللّغة والأدب، وترتبط السّيميائيّة ارتباطاً وثيقاً بالنّموذج اللساني البنيويّ المعاصر الذي أرسى دعائمه دي سوسير[7].

تعدّدت الدّراسات الحديثة في الغرب والشّرق حول مصطلح (السّيميائيّة) وحول استخدامه منهجاً في تحليل النّصوص وتأويلها؛ لذلك اخترنا أن تكون دراستنا ضمن الدّراسات التّطبيقيّة التي تختار نصوصاً تراثيّة؛ لتعيد قراءتها وفق مناهج حديثة دون سلخها عن سياقها التّاريخيّ.

---

[1] **سورة الفتح، الآية 29.**

[2] **سورة البقرة، الآية 273.**

[3] **الطّبرسيّ، أبو علي الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق هاشم الرّسولي المحلاتي، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت – لبنان، مج5، ج127/26 .**

[4] **ابن منظور. لسان العرب، دار صادر، بيروت – لبنان، د.ت، ص312–313.**

[5] **يُنظر: دي سوسير – فرديناند. محاضرات في الألسنيّة العامّة، تر: يوسف غازي ومجيد النّصر، دار نعمان للثقافة، جونيه– لبنان، 1984م، ص27–29.**

[6] **عزّوز، لحسن. محاضرات نقديّة – المنهج السّيميائيّ، السّنة الثانية، ماستر، المحاضرة الرّابعة، 2021/1/2، جامعة محمّد خيضر بسكرة، ص2.**

[7] **يُنظر: البشير، سعديّة موسى عمر. السّيميائيّة أصولها ومناهجها ومصطلحاتها، مقال، مجلّة الأدب العربيّ، 3 آب، 2014م.**

سيميائيّة بيرس:

أطلق بيرس على نظريّته اسم السّيميوطيقيا، جاعلاً إيّاها أحد المداخل الضّروريّة للفلسفة والمنطق[8]، وهي تمثل الجانب التّطبيقيّ للتّأصيل النّظريّ للمنهج الذي قدّمه سوسير، وعليه، فإنّ تطبيق نظريّة بيرس على النّصّ يعتمد على تفكيكه، والوقوف على ما فيه من بنية عميقة يمكن الوصول إليها من خلال البنية السّطحيّة التي تتكوّن من البنية الصّوتيّة، والبنية الصّرفيّة، والبنية التّركيبيّة، والبنية الدّلاليّة[9]، وهذه البُنى تُشكّل مستويات التّحليل السّيميولوجيّ.

وانطلق بيرس في نظريّته من العلامة التي تشكّل: "شيء يقابل شخص ما، لشيء ما على نحو أو قدرة ما، إنّه يخاطب شخص ما، أوجده في عقله، هذا الشّخص يعادل في قوّته وتأثيره العلامة، أو ربّما علامة أكثر تطوّراً، تلك العلامة التي وجدتها أسميها المفسّر The interpretant للعلامة الأولى، وتقابل العلامة شيء ما هو موضوعها"[10].

وقد تمّ توضيح النّموذج البيرسيّ بالمثلّث الآتي:

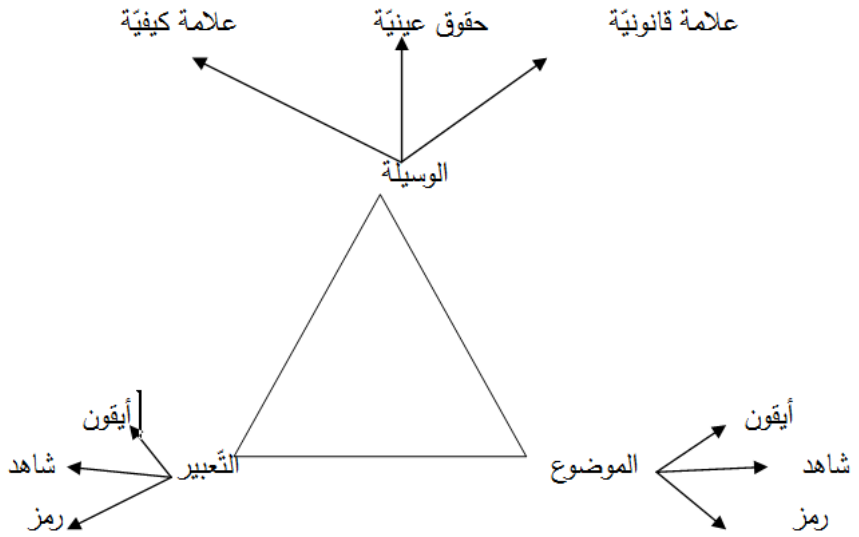

[8] **حمداوي، جميل. السّيميولوجيا بين النّظريّة والتّطبيق، الورّاق للنّشر والتّوزيع، عمّان – الأردن، ط1، 2011م، ص7.**

[9] **المرجع السّابق، ص10.**

[10] **موريس، تشارلز. روّاد الفلسفة الأمريكيّة، تر: د. إبراهيم مصطفى إبراهيم، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر، 1996، ص32.**

وهذا الشّكل يوضح أنّ هناك ثنائيّة هي: (الأيقونة، الإشارة/الشّاهد، الرّمز) تتكرّر مرّتين، في حين كان الخطّ في أساس المثلّث منقّطاً؛ أي غير متّصل اتّصالاً تامّاً في دلالة واضحة على عدم وجود علاقة بالضّرورة بين حامل الإشارة والمرجع إليه[11]

التّعريف بالزّرزوريّات:

والزّرزوريّات – مدار بحثنا – "هي مجموعة من رسائل التّفكّه والسّخريّة عرفت طريقها إلى النّثر الأندلسيّ لأوّل مرّة في عصر المرابطين"[12]، وأوّل من كتب فيها الوزير أبو الحسين بن سراج خاطب بعض أهل العصر برقعة يشفع لرجلٍ يعرف بالزّريزير[13]، فقد نشأت نشأة أندلسيّة خالصة، وارتبطت بالبيئة الأندلسيّة المحلّية ارتباطاً وثيقاً، وصوّرت بأسلوب تهكّميّ بعض مظاهر الحياة الاجتماعيّة في الأندلس [14].

أمّا لماذا سمّيت بهذا الاسم، فقد سمّيت بهذا الاسم نسبة إلى الزّرزور، وهو طائر صغير الحجم، يشبه العصفور، ويتميّز بجمال صوته، وخفّة حركته، وذكائه؛ كذلك يتميّز بنهمه الشّديد وإفراطه في حبّ الطّعام[15].

أمّا سبب اختيار هذا الطّائر سمة لرسائلهم، أو تسمية رسائلهم باسمه؛ فيمكننا معرفة ذلك من خلال المعاني الكثيرة لمادّة (زرر) كما وردت في معاجم اللّغة، ولها معانٍ متقاربة تنحصر فيما يأتي:

الزّرزر: طائر، وفي التّهذيب: طائر، وقد زرزر بصوته، والجمع الزّرازر: هنات كالقنابر، ملس الرّؤوس تزرزر بأصواتها زرزرة شديدة.

والزّرزار: الخفيف السّريع. الأصمعي: فلان كيّس زرزار، أي وقّاد تبرق عيناه، الفرّاء: عيناه تزرّان في رأسه إذا توقّدتا، ورجل زرير: أي خفيف ذكي... وإنّه لزرزور مال: أي عالم بمصلحته، زرزر: إذا ثبت بالمكان[16].

ونجد أنّ هذه المعاني ليست ببعيدة عن صفات طائر الزّرزور، كالخفّة، والسّرعة، والظّرف، والذّكاء، والتّوقّد، والثّبات بالمكان، وهذه الأخيرة ترتبط بطبيعة الزّرزور؛ لأنّه يستقرّ بين أغصان الأشجار، ويرابط فيها، ويبني فيها عشّه[17].

ولكن ما صلة هذا الطّائر بالرّسائل الزّرزوريّة... أراد أبو الحسين بن سراج الشّفاعة لرجل كان يعرف بالزّريزير، "فاستغلّ ابن سراج هذا اللقب بما يوحي به من معانٍ، وربط بين صاحبه، وبين هذا الطّائر، وخلع عليه أوصافه، واستعار له مصطلحاته، وجسّد الزّرزور في شخصه فجعلهما شيئاً واحداً، وجعل من ذلك كلّه مجالاً للتّفكّه والسّخريّة"[18].

---

[11] تشاندلر، دانيال. أسس السّيميائيّة، تر: د. طلال وهبه، مراجعة: د. ميشال زكريا، المنظمة العربيّة للتّرجمة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت – لبنان، ط1، 2008م، ص70.

[12] د. عيسى، فوزي سعد. الزّرزوريّات – نشأتها وتطوّرها في النّثر الأندلسيّ، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ج.م.ع، ص13.

[13] ابن بسّام. الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: د. إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت – لبنان، القسم الثاني، المجلّد الأوّل، ص347.

[14] يُنظر: د. عيسى، فوزي سعد. الزّرزوريّات، ص7.

[15] يُنظر: المرجع السّابق، ص13.

[16] ابن منظور. لسان العرب، المجلّد الرّابع، مادّة (زرر)، ص322–323.

[17] يُنظر: د. عيسى، فوزي سعد. الزّرزوريّات، ص14.

[18] د. عيسى، فوزي سعد. الزّرزوريّات، ص14.

الرّسائل الزّرزوريّة دراسة سيميائيّة:

كما في قوله: "**ويصل به – وصل الله علوّك، وكبت عدوّك – شخصٌ من الطّيور يعرف بالزّريزير، أقام لدينا أيّام التّحسير[19]، وزمان التّبلّغ بالشّكير[20]، فلمّا وافى ريشه، ونَبَت بأفراخه عشوشه، أزمع عنّا قطوعاً، وعلى ذلك اللون تدلّياً ووقوعاً، رجاء أن يلقى من تلك البساتين مَعْمراً، وعلى تلك الغصون حبّاً وثمراً، وأنت بجميل تأتّيك، وكرم معاليك، تصنع له هنالك وكوناً، وتستمع من نغم شكره على ذلك أغاريد ولحوناً، ودون أن يلتقط في فنائك حبّة، أو يسترط من مائك غبّة**"[21].

إنّ نظرة سيميائيّة تحوّل الرّسالة السّابقة إلى جسد من العلامات المتنوّعة التي تتشابك دلالاتها التّواصليّة لتمنح النّصّ قوّة تكثيفيّة دلاليّة، متولّدة عن اكتناز سياق الرّسالة بالمعاني المختلفة، ففي حديثه عن الزريزير نجد التّولّد البيرسيّ للثلاثيّة الأيقونيّة (icon) التي أشارت إلى الموضوعة المُرادة من لفظة(الزريزير) التي تشكّل صورة فوتوغرافيّة تكتنز بمعاني الخفاء والذّكاء والاستقرار في البقعة المكانيّة ذاتها.

ويحاول الأديب أن يُحمّل الرّسالة دليلاً إشاريّا (Index) وهذا الدّليل يشير إلى مدلولات الظّرف والخفّة والبديهة، ففي قوله: (يلقي من تلك البساتين... لحوناً) نجد قوله: مغمراً، حبّاً، معاليك، دوال تشير إلى الآتي:

مغمراً	–	حبّاً	–	معاليك
↓		↓		↓
الرّابطة المكانيّة		الرّابطة الوجدانيّة		الرّابطة المجتمعيّة

وهذه الرّوابط هي حلقات وصل للشّبكة العلائقيّة المتأتّية من إعطاء مشهد الشّفاعة، ممّا يُؤكّد رغبة الأديب في الوصول إلى تلبية تلك الشّفاعة.

ثمّ نجد العلاقة الرّمزيّة (Symbol) وهي موزّعة على عدّة ألفاظ محوريّة في هذه الرّسالة، ولاسيّما أنّها علامة مرتبطة بالأفكار العامّة التي تدفع إلى ربط الرّمز بما يشير إليه، فقوله: (الزريزير) يشير إلى جوهر شخصيّة الرّجل الذي أطلق عليه هذا الاسم، ثمّ نجد تماهي الرّمز مع ما يرمز إليه، فقد وجدنا المزج بين صورة الزّرزور وشخصيّة الرّجل المسمّى بالزّريزير، وجعلهما شيئاً واحداً؛ إذ غابت صورة الرّجل تماماً؛ لتحلّ محلّها صورة الطّائر، فقد أدار رسالته على أنّ المتحدّث عنه زرزور، واستعار المصطلحات المتعلّقة بالطّيور من تحسير وشكير وريش وفرع وعشّ وقطوع[22]، ليحاول الأديب أن يضع هذا الرّمز في إطار الغموض الشّفّاف وفقاً لدواعٍ اجتماعيّة ونفسيّة مختلفة.

وبما أنّ الرّسائل الزّرزوريّة رسائل فكاهيّة، فكلّ صفة من الصّفات التي تحلّى بها الرّمز وما يرمز إليه كانت بمنزلة مؤشّر على تداعي تلك الصّفات الفكاهيّة؛ إذ راح الأديب "يوظّف ما لهذا الطّائر من سمات وأسماء توظيفاً يتّسم بمسحة فكهة، فإنّ هذه المسحة أضحت سمة أساسيّة لأغلب الزّرزوريّات"[23].

---

[19] التّحسير: إلقاء الرّيش العتيق، ابن منظور. لسان العرب، المجلّد الرّابع، ص189.

[20] الشّكير: صغار الرّيش (الزّغب)، ابن منظور. لسان العرب، المجلّد الرّابع، ص426.

[21] ابن بسّام. الذّخيرة، القسم الثاني، المجلّد الأوّل، ص347.

[22] يُنظر: د. عبّاس، إحسان. تاريخ الأدب الأندلسيّ – عصر الطّوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط5، ص295–296.

– د. عيسى، فوزي سعد. الزّرزوريّات، ص14–15.

[23] د. محمّد، علي. النّثر الأندلسيّ في القرن الخامس الهجريّ، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت – لبنان، ص546.

ووفقاً لنظريّة بيرس يمكن أن نعدّ هذا الطّائر الزرزور مستوى تأويليّاً للإشارة، وليس مؤولاً لها؛ لأنّ المؤول هو المعنى الذي تحدثه هذه الإشارة الزّرزوريّة.

ويحاول الأديب أن يتخطّى وجود الإشارة الزّرزوريّة التي يرجع إليها، فيتجاوز المرجع إليه ويصبّ في حقل الموجودة، فقوله: (شخص من الطّيور... التّحسير) يحمل إبعاداً عن صفة الأنسنة، ودخولاً في حقل الطّائر بما تحمل الرّسالة من تمويهات تشير إلى سلوكات الطّيور من تحسير وغيره.

وإذا أمعنا النّظر في المصطلحات التي استعارها ابن سراج من الزّرزور نستطيع أن ندرك أنّ اختيارها لم يكن عبثاً، وإنّما تشعّ بإيحاءات اجتماعيّة تصوّر لنا الحياة الأندلسيّة المحلّيّة، وما قد يصيبها أحياناً من هزّات اقتصاديّة، يضطر فيها البعض إلى مغادرة البلاد.

ففي قوله: (أقام لدينا أيّام التّحسير، وزمان التّبلّغ بالشكير)، يدلّ التّحسير في معظم معانيها على فقدان الشّيء والتّخلّي عنه، ويدلّ التّحسير على خروج الطّير من الرّيش العتيق إلى الحديث؛ والمعنى هنا مجازيّ، وكذلك الشّكير: فهي صغار الرّيش (الزّغب)، والشّكير من الشّعر والرّيش والنّبت: هو ما نبت من صغاره بين كباره، والمعنى هنا مجازيّ أيضاً، وقد رمز ابن سراج من خلال استخدامه لهذين المصطلحين إلى فقر المشفوع له وبؤسه، ورغبته في الذّهاب إلى مكان آخر يجد فيه الخصب والنّماء.

أمّا (ابن الجدّ) الذي عارض رسالة ابن سراج، فإنّه يستغلّ صفات الزّرزور، ويوظّفها توظيفاً آخر غير الشّفاعة؛ إذ أدارها حول التّشوّق والتّودّد والإشادة بشمائل صاحبه.

ويقترب ابن الجدّ بزرزوريّته ممّا تتضمّنه الرّسالة الإخوانيّة من معانٍ تتّصل بالشّوق والتّعبير عن المودّة والإخاء، فهو يتوسّل بالزّرزور لإظهار شوقه لصديقه ابن سراج، حتّى ليتحوّل هذا الطّائر عنده إلى رمز التّشوّق والحنين، فنراه يوظّف رموزه كلّها لإظهار هذا الجانب، فطائر الزّرزور يهاجر من مقرّه عند ابن الجدّ بإشبيليّة بعد أن عانى من قلّة إثمار الزّيتون الذي هو قوام معاشه، ويستخفّه الشّوق والرّغبة في الطّعام، فيطير إلى ابن سراج في قرطبة ويمثل بين يديه، فقد هزّ قوادمه لعادة الاستمناح، ناهلاً من حياض كرمه ما شاء [24].

نذكر منها: "... **بما سقط إليه، ووقع عليه، من طائر شهيّ الصّفير، مبنيّ الاسم على التّصغير، فإنّه رجّع بذكرك حنيناً، وابتدع في نوبة شكرك تلحيناً... ثمّ أسمعني أثناء ترنّمه كلاماً وصف به نفسه لو تغنّت به الورقاء، لأذنت له العنقاء، أو ناح بمثله الحمام، لبكى لشجوه الغمام، أو سمعه قيس بن عاصم في ناديه... لحلّ الزّمع حباه، واستردّ الطّرب صباه... ولمّا طار ببلاد الغرب، ووقع، وزقا في أكنافها وصقع، وعانى ما اتّفق فيها هذا العام من عدم الزّيتون، في تلك البطون والمتون، أزمع عنها فراراً، ولم يجد بها قراراً؛ لأنّ هذا الثّمر بهذا الأفق هو قوام معاشه، وملاك انتعاشه، إليه يقطع، وعليه يقع، كما يقع على العسل الذّباب...**"[25].

نجد الأديب يعتمد الوسيلة، وهي وفقاً لبيرس تتوسّط الأيقونة والموضوع، عبر ثلاثيّة أساسها الإشارة والموضوع والمؤول، وفقاً للآتي:

[24] **يُنظر: د. عيسى، فوزي سعد. الزّرزوريّات، ص16-17.**

[25] **ابن بسّام. الذّخيرة، القسم الثاني، المجلّد الأوّل، ص347-350.**

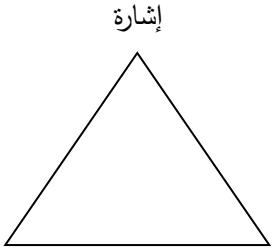

فالإشارة جاءت بوساطة قوله: (طائر شهيّ الصّفير)، والمؤول جاذبيّة الشّخص الفكاهيّ، والموضوع استعطاف الآخر للحصول على الشّفاعة.

ولو تأمّلنا النّصّ السّابق لوجدنا نمط التّصوّر الحاكم للعلاقة الرّابطة بين الشّخص المُلقّب بالزريزير والطّائر المعروف بالزّرزور، وهي علاقة غير مباشرة تتخلّلها مفاصل لا تدرك إلا رمزيّاً بوصفها جزءاً رئيساً من نسق علاماتيّ، وهذا النّسق العلاماتيّ تأتّى من الحوامل العلاماتيّة الآتية:

العلامة	الإشارة
طائر شهي الصّفير	الجاذبيّة
مبنيّ الاسم على التّصغير	التّحبّب
ابتدع في نوبة شكرك تلحيناً	التّغنّي بالمعروف
أذنت له العنقاء	تحقيق المستحيل
ناح بمثله الحمام	التّأثر والتّفاعل
بكى لشجوه الغمام	التّفريغ
لمّا طار ببلاد الغرب	تحقّق الغربة
عدم الزّيتون	العوز والفَقد
أزمع عنها فراراً	الاستجابة وردّ الفعل
لم يجد بها قراراً	الاضطراب

ونستطيع أن نلحظ الإشارات التي يرسلها ابن الجدّ من خلال صفات الزّرزور، فهو يشير إلى صفات ابن سراج من خلال ما يتميّز به الزّرزور من جمال الصّوت والخفّة والذّكاء، وذلك من خلال التّلاعب اللفظيّ واللغويّ والتّلميح والإشارات إلى أشخاص في معرض التّشبيه كما يرسل إلى المتلقّي إشارات إلى الحياة الاقتصاديّة؛ في البيئة الأندلسيّة، مستغلاً صفة نهم هذا الطّائر، ورغبته في الطّعام، ولا بدّ أن نشير أيضاً إلى الإشارات اللّغويّة التي قدّمها ابن الجدّ مُتّخذاً من اسم هذا الطّائر مجالاً لإبراز مقدرته اللّغويّة: "**وبعد، فإنّي أعود إلى ذكر ذلك الحيوان الغرّيد، والشّيطان المريد، فأقول: لئن سمّي بالزّريزير، لقد صغّر للتّكبير، كما قيل: (حريقيص) وسِقْطُهُ يحرق الحرج، و (دويهيّة) وهي تلتهم الأرواح والمهج**"[26].

[26] **ابن بسّام. الذّخيرة، القسم الثاني، المجلّد الأوّل، ص348-349.**

إنّ "اتّخاذ الزّرزور مادّة للشّفاعة والفكاهة لم يعق الكتّاب عن تطوير نظرتهم إليه، وتوظيفه توظيفاً رمزيّاً متّكئين على الصّفات التي يتمتّع بها هذا الطّائر... فقد تحوّل من رمزٍ لشخصٍ بائس يشفع له إلى عنصر فاعل في مجريات الزّرزوريّة"[27].

وراح الكتّاب يتّخذون منه رمزاً؛ فابن أبي الخصال "يسقط على الزّرزور أحاسيسه، ويمتزج به امتزاجاً تامّاً"[28]، فأصبح المتحدّث فيه هو الزّرزور نفسه، وليس شخصاً يحتاج شفاعة وتوصية، وإذا هذا المتحدّث حين يكلّم النّاس عن توبته أو يستثيرهم إلى السّخاء من أجله، وينال نقودهم عن طريق الوعظ صورة لبطل المقامة"[29].

نذكر منها: "**كلاّ، ما هو زور، إنّما هو زرزور، عليه الليل مزرور... فهو منمنم الدّواج، بديع الائتلاف والازدواج، يباسطكم البعيد والقريب، ويطارحكم المستعمل والغريب، يلقط الإحسان حبّاً، ويضمره حُبّاً، ويلفظه لؤلؤاً حبّاً...**"[30].

نجد خاصيّة واضحة أدلى بها بيرس في نظريّته السّيميائيّة، وهي خاصيّة تعود إلى نمط التّصوّر الذي يحكم العلاقة الرّابطة بين الإنسان ومحيطه، وهذه العلاقة علاقة غير مباشرة، ويحكمها دائماً مبدأ التّوسّط؛ لأنّ الأشياء لا تدرك إلا رمزيّاً، وهذا يعني أنّنا نعدّ تلك الأشياء جزءاً من نسق خاصّ من العلامات، ونستطيع تتبّع ذاك التّوسّط عبر تجلية العلاقة بين الشّخصيّة ومحيطها كالآتي:

الشّخصيّة	مبدأ التّوسّط	المحيط
زرزور	التّورية	الليل مزرور
زرزور	الجاذبيّة	منمنم الدّواج
زرزور	التّأثير	بديع الائتلاف والازدواج
زرزور	التّفاعل	يباسطكم البعيد والقريب
زرزور	المشاركة	يطارحكم المستعمل والغريب

فالزّرزور هنا "هو ذلك الأديب الأريب الذي يتألّف الأذهان بآدابه، ويأسر القلوب بمودّته، ويستميل الأسماع بعذب أنغامه، ويضفي عليه مسحة دينيّة، ويلبسه ثياب الوعظ والتّقوى والورع، فهو يحدو القلوب إلى التّقوى، ويهديها إلى جادّة الصّواب"[31].

وهي صورة قريبة من شخصيّة ابن أبي الخصال الورع. ونرى أنّه اتّخذ من صفات الزّرزور صفات لأديبه: الذّكاء، جمال الصّوت، الظّرف.

وقد اقتربت صورة الزّرزور هنا من صورة بطل المقامة، كما تجلّت في مقامات الهمذاني والحريريّ "فهو يتوسّل بهذه الصّفات – كالوعظ والمباسطة ومطارحة الأدب – إلى استثارة النّاس إلى العطاء، وعلى قدر عطائهم؛ يكون عطاؤه وبذله"[32].

---

[27] د. ميدان، أيمن محمّد. المعارضات الأدبيّة في النّثر الأندلسيّ، دار العلوم للدّراسات العليا والبحوث، مجلّة الأندلس، http://revistdealandlus.com.

[28] د. عيسى، فوزي سعد. الزّرزوريّات، ص25.

[29] د. عبّاس، إحسان. تاريخ الأدب الأندلسيّ – عصر الطّوائف والمرابطين، ص299.

[30] ابن أبي الخصال، أبو عبد الله. رسائل ابن أبي الخصال، تح: د. محمّد رضوان الدّاية، دار الفكر، دمشق– سورية، ص33. ونصّ الرّسالة كاملة، ص333–344.

[31] د. عيسى، فوزي سعد. الزّرزوريّات، ص28.

ولو قرأنا قوله: "**وإن أنطقني نوالكم نطقت، وإن صدقني إحسانكم صدقت؛ فحلّ لساني، واحلل عقدة من لساني، رحم الله الأنصار، أين الواحد الذي لا يعدله الألف، والصّرّة تعجز عنها الكفّ**"[33]، لوجدنا أنّ العلاقة الأيقونيّة تتمثل في إشارة الأديب إلى الموضوعة التي تعبّر عنها الطّبيعة الذّاتيّة للعلامة فقط، فالزّرزور أيقونة للطّرافة والذّكاء والاستقرار والثبات في المكان، وقد أصبح هذا الزّرزور صورة من صور بطل المقامات، وتحوّل من كونه شخصيّة ثانويّة إلى بطل يصنع الحدث ويوجهه[34]، فهو بذلك يقترب من شخصيّة المكديّ الذي يمنّي نفسه بالعطاء.

وممّا سبق يمكننا القول: "إنّ الرّسائل الزّرزوريّة تدور حول محورين متباينين: أحدهما فكاهي وهذا أصل وضعها، والثاني رمزي يوحي ببؤس الأدباء وشقائهم، كما يدلّ إلى تلهّف بعضهم على الدّنيا، وإسراعهم إلى فضح ما في نفوسهم من غرائز التّكسّب والاستجداء"[35].

ثمّ نجد الدّليل، وهو العلاقة الإشاريّة المتمثلة بقوله: (أين الواحد الذي لا يعدله الألف)؛ ليُشير إلى التّفرّد عبر هذه العلامة الموحية، وهذا يُؤكّد أنّ الرّسائل الزّرزوريّة وفقاً لنظريّة بيرس كانت حاملاً علاماتيّاً لعلاقات أيقونيّة وإشاريّة ورؤية أغنت السّياق النّصّيّ.

الاستنتاجات والتوصيات

لقد حاولنا استنطاق الزّرزوريّات بلغة سيميائيّة، وقد توصّل البحث إلى النّتائج الآتية:

- لم تكن الزّرزوريّات رسائل فكاهة وسخرية فحسب، بل كانت رسائل فضحت الواقع الاجتماعيّ المعيش في العصر الأندلسيّ.
- أبرزت نشأةُ الزّرزوريّات في الأندلس ظاهرة الكدية التي انتشرت في ظلّ التّفاوت الطّبقيّ بين الأثرياء والفقراء آنذاك.
- تحوّلت الزّرزوريّات في ظلّ القراءة السّيميائيّة إلى متن خصب اتّسع لتأويلات العلامة البيرسيّة التي أقرّها بيرس في نظريّته.
- كانت الرّسائل الزّرزوريّة جسداً علاماتيّاً حمل دلالات تواصليّة، وأماط اللثام عن قوّة دلاليّة تكثيفيّة إيحائيّة.
- اكتنز سياق الرّسائل الزّرزوريّة بالمعاني الأيقونيّة (icon)، وكانت حمّالة نسق دلاليّ إشاريّ (index)، أشار إلى دلالات شتّى تنوّعت بتنوّع الرّسائل الزّرزوريّة ومادّتها.
- انبثقت العلامات الرّمزيّة symbol لتحدّد بعداً خاصّاً من أبعاد الرّسائل الزّرزوريّة تَمَثَّلَ في عمق المأتى الدّلاليّ الذي تتضمّنه.
- توسّطت الوسيلة في الرّسائل الزّرزوريّة بين الموضوع المتضمّن لفت الانتباه والحصول على الاستجابة، وبين المؤوِّل الذي يمثّل جانب الفكاهة والجاذبيّة والإشارة المتمثّلة بالشّخصيّة المحوريّة للرّسالة.

---

[32] **المرجع السّابق، ص28.**

[33] **ابن أبي الخصال، أبو عبد الله. رسائل ابن أبي الخصال، ص337.**

[34] **يُنظر: ابن ناجي، محمّد لخضر. فنّ الرّسالة عند أبي عبد الله ابن أبي الخصال – دراسة فنّيّة أسلوبيّة، رسالة ماجستير، 2014-2015م، ص40.**

[35] **د. ميدان، أيمن محمّد. المعارضات الأدبيّة في النّثر الأندلسيّ.**

- استطاعت الزّرزوريّات أن تنقل لنا بعض مظاهر البيئة الأندلسيّة المحلّيّة، كالإشارات المتكرّرة إلى منابت الزّيتون، وما كانت تتعرّض له أحياناً من ظروف طبيعيّة كالجفاف وعدم الإثمار أو قلّته؛ ممّا يعرّض الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة في الأندلس لهزّات كثيرة، وقد اعتُمد في ذلك كلّه على الدّلالات والإيحاءات والمعاني التي يشعّ بها لفظ (الزّرزور).

- صوّرت الرّسائل الزّرزوريّة طبقة الفقراء والمعوزين، وأشارت إلى وجود طبقة من المكّدين الذين يحترفون الأدب، ويتكسّبون بوساطته، فكانت الدّعائم البيرسيّة خير معين لرصد أدبهم وسلوكهم.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أوّلاً: الكتب:

1- ابن بسّام (د.ت). الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: د. إحسان عبّاس، دار الثّقافة، بيروت – لبنان.

2- تشاندلر، دانيال(2008م). أسس السّيميائيّة، تر: د. طلال وهبه، مراجعة: د. ميشال زكريا، المنظمة العربيّة للتّرجمة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت – لبنان، ط1.

3- حمداوي، جميل (2011م). السّيميولوجيا بين النّظريّة والتّطبيق، الورّاق للنّشر والتّوزيع، عمّان – الأردن، ط1.

4- ابن أبي الخصال، أبو عبد الله (1988م). رسائل ابن أبي الخصال، تح: د. محمّد رضوان الدّاية، دار الفكر، دمشق – سورية.

5- دي سوسير – فردينان (1984م). محاضرات في الألسنيّة العامّة، تر: يوسف غازي ومجيد النّصر، دار نعمان للثّقافة، جونيه – لبنان.

6- الطّبرسيّ، أبو علي الفضل بن الحسن (د.ت): مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: هاشم الرّسولي المحلاتي، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت – لبنان.

7- د. عبّاس، إحسان (1978م). تاريخ الأدب الأندلسيّ – عصر الطّوائف والمرابطين، ط5، دار الثّقافة، بيروت – لبنان.

8- د. عيسى، فوزي سعد (1990م). الزّرزوريّات – نشأتها وتطوّرها في النّثر الأندلسيّ، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ج.م.ع.

9- د. محمّد، علي (1990م). النّثر الأندلسيّ في القرن الخامس الهجريّ، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت – لبنان.

10- ابن منظور (د.ت). لسان العرب، دار صادر، بيروت – لبنان.

11- موريس، تشارلز (1996م). روّاد الفلسفة الأمريكيّة، تر: د. إبراهيم مصطفى إبراهيم، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر.

ثانياً: المقالات الالكترونيّة:

1- البشير، سعديّة موسى عمر. السّيميائيّة أصولها ومناهجها ومصطلحاتها، مقال، مجلّة الأدب العربيّ، 3 آب، 2014.

2- عزّوز، لحسن. محاضرات مقياس نظريّات نقديّة – المنهج السّيميائيّ، السّنة الثانية، ماستر، المحاضرة الرّابعة، 2021/1/2 م، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، مقال.

3- ميدان، أيمن محمّد. المعارضات الأدبيّة في النّثر الأندلسيّ، دار العلوم للدّراسات العليا والبحوث، مجلّة الأندلس، http://revistdealandlus.com.

ثالثاً: المخطوطات:

1- ابن ناجي، محمّد لخضر. فنّ الرّسالة عند أبي عبد الله ابن أبي الخصال – دراسة فنّيّة أسلوبيّة، رسالة ماجستير، 2014-2015 م.

List sources and references

The Holy Quran

First: Books:

1- Ibn Bassam (d.d.). Ammunition in the virtues of the people of the Peninsula, ed.: D. Ihsan Abbas, House of Culture, Beirut - Lebanon.

2- Ibn Abi Al-Khasal, Abu Abdullah (1988 AD). Letters of Ibn Abi Al-Khasal, ed.: D. Muhammad Radwan Al-Daya, Dar Al-Fikr, Damascus - Syria.

3- Chandler, Daniel (2008 AD). Foundations of semiotics, see: Dr. Talal Wahba, review: Dr. Michel Zakaria, Arab Organization for Translation, Center for Arab Unity Studies, Beirut - Lebanon, 1st edition.

4- Hamdawi, Jamil (2011 AD). Semiology between theory and practice, Al-Warraq Publishing and Distribution, Amman - Jordan, 1st edition.

5- De Saussure - Ferdinand (1984 AD). Lectures on General Linguistics, Trans: Youssef Ghazi and Majeed Al-Nasr, Noman House of Culture, Jounieh - Lebanon.

6- Al-Tabarsi, Abu Ali Al-Fadl bin Al-Hasan (D.D.): Al-Bayan Complex in the Interpretation of the Qur'an, edited by: Hashim Al-Rasouli Al-Mahallati, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut - Lebanon.

7- Dr. Abbas, Ihsan (1978). History of Andalusian Literature - The Era of the Taifas and Almoravids, 5th edition, House of Culture, Beirut - Lebanon.

8- Dr. Issa, Fawzi Saad (1990 AD). Al-Zarzuriyyat - Its origin and development in Andalusian prose, Dar Al-Ma'rifa Al-Jami'a, Alexandria, A.M.

9- Dr. Muhammad, Ali (1990). Andalusian Prose in the Fifth Century AH, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut - Lebanon.

10- Ibn Manzur (d.d.). Lisan Al-Arab, Dar Sader, Beirut - Lebanon.

11- Morris, Charles (1996). Pioneers of American Philosophy, see: Dr. Ibrahim Mustafa Ibrahim, University Youth Foundation, Egypt.

Second: Electronic articles:

1- Al-Bashir, Saadia Musa Omar. Semiotics, its origins, methods, and terminology, article, Arab Literature Journal, August 3, 2014.

2- Azouz, Hassan. Critical Theories Scale Lectures - Semiotic Method, Second Year, Master, Fourth Lecture, 1/2/2021 AD, Mohamed Khidir University, Biskra, article.

3- Maidan, Ayman Muhammad. Literary Oppositions in Andalusian Prose, Dar Al-Ulum for Postgraduate Studies and Research, Al-Andalus Magazine, http://revistdealandlus.com.

Third: Manuscripts:

1- Ibn Naji, Muhammad Lakhdar. The Art of the Message according to Abu Abdullah Ibn Abi Al-Khasal - a stylistic artistic study, Master's thesis, 2014-2015 AD.